الطموح أساس النجاح

للفرد والأمة

الطموح خليقة إنسانية نافعة ، قام على أساسها كل ما نراه من مظاهر الرقي الإنساني في هذا العالم ؛ ويبدو أنها صفة خاصة بالإنسان دون بقية النوع الحيواني ، وأنها هي السبب في قفزه درجات سلم النشوء والارتقاء بينما الحيوان حتى الفصائل العليا منه قابع في الدرك لا يطمح الى أعلى !

ولكن أفراد النوع الانساني ليسوا ذوي نصيب واحد من هذه الخليقة ، بل يبدو أن بعض الشعوب تمتاز على بعضها الآخر في هذه الصفة ، وإن كان تقسيم الجنس البشري الى أجناس وتحديد ميزات لكل جنس فيه كثير من الخلط والتعسف ومجانبة التحقيق العلمي إلى حد كبير .

غير أن هذا لا ينفي أن البيئة العامة في شعب من الشعوب قد تزيد هذه الصفة بروزا ، بينما هي في شعب آخر قد تعمل على قتل الطموح الفردي والقومي بصفة مؤقتة أو مستديمة .

وأقرب الأمثلة في الوقت الحاضر على البيئة التي تذكي في النفس خليقة الطموح هي البيئة الأمريكية ، ذلك أنها تطلق الفرد من جميع القيود والحواجز التي تحد من نشاطه أو تقف بطامحه عند أفق خاص ؛ ثم هي من ناحية أخرى ترحب بالطامحين والمغامرين وتشجعهم وتصفق لهم بحيث تغري الآخرين على الطموح وتغذي في نفوسهم هذا الاحساس .

وقد عرضت دور السينما منذ أسابيع رواية اسمها " مدينة للغزو " تمثل هذه الحالة أوضح تمثيل ، والمدينة المقصودة هي مدينة "نيويورك" التي يعيش الناس فيها وكأنهم في ميدان سباق دائم وغزو دائم هم كل فرد فيه أن يصبح بطلا في شيء ما ، وأن يفوز بقصب السبق في ناحية من النواحي .

وأقرب الأمثلة على البيئة الأخرى التي تقتل الطموح في النفس الإنسانية هي بيئة الاستعمار على وجه عام ، فأول ما يقصد إليه الاستعمار قصدا هو قتل روح الطموح في الأمم المستعمرة أفرادا و جماعات حتى يضمن لنفسه أطول أمد ممكن وأكبر نصيب من الاستغلال .

على أن عهود الاضمحلال في جميع الأمم على السواء هي أسوأ بيئة تقتل الطموح في نفوس الأفراد والجماعات ، وهي بيئة تتلقى الطموح الفردي بكل وسائل التثبيط والاتهام والسخرية مما لا يصبر عليه إلا الأفذاذ الشواذ وأولئك هم الزعماء الذين يظهرون في أشد الساعات ظلاما فيكون ظهورهم مبدأ عهد جديد في التاريخ .

وإذا نظرنا إلى خلق الطموح فى نفس الفرد وجدنا أنه الرغبة فى الحصول على ما هو أفضل ، ويختلف الهدف بعد ذلك فيكون فى المال كما يكون فى المركز الأدبى أو العلمى أو التنفيذى ... ... إلى آخر المطامح الإنسانية بحسب التربية الذاتية والبيئة العامة .

والرغبة فى الحصول على ما هو أفضل هى التى تدعو الفرد — كما تدعو الجماعة — إلى بذل الجهد وإيثار العمل ، وابتكار الوسائل ، وإلى المغامرة فى بعض الأحيان إذا كانت الغاية من السمو بحيث تتطلب هذه المغامرة .

وهى — بهذا التحديد — شىء آخر غير السخط والتذمر ، وغير الطمع والحسد لذوى النعمة ، وغير القلق الدائم والشعور بالشقاء والحرمان . فهذه كلها رذائل نفسية بينها وبين فضيلة الطموح بون بعيد .

ذلك أن الرجل الطموح هو فى الغالب رجل سعيد متفائل ، لا تعوقه الرغبة فيما هو أفضل عن الاستمتاع بما هو كائن وعن الشعور بالسعادة فيما يبذله من الجهود للوصول إلى غاياته القريبة أو البعيدة . بل إن للطموح فى نفسه لذة ذاتية تلائم حياته رضاء ومرحا

وهو بهذا على العكس من الساخطين المتذمرين الطامعين فيما لا يملكون ، الدائمى الشعور بالحرمان من طيبات الحياة . فهؤلاء غالبا من المتشائمين الذين لا تتعدى مطامحهم رغبات عامضة فى نفوسهم ليس لها أهداف معلومة ، وهم فى الغالب يكتفون بالشكوى والتذمر مما هم فيه دون أن يفكروا فى تحقيق رغباتهم بالوسائل العملية والجهد الموصول .

على أن هناك فريقا ثالثا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . أولئك هم الذين يعيشون فى جهاد موصول وتعب مبذول فى سبيل بلوغ مقاصد وغايات ، ولكنهم لا يشعرون بالغبطة لتحقيق هذه المطالب والغايات . ذلك أنهم يحتقرون كل ما يصلون إليه ويطلبون المزيد دائما . وهؤلاء قد ينتفع بهم المجتمع ولكنهم لا ينتفعون هم بأنفسهم .

ولو أننى حكمت فى شأنهم لفضلت عليهم الفريق الأول على الرغم مما يبدو من فضل هؤلاء الأخيرين . ذلك أن أولئك أكثر تحقيقا لأغراض الحياة لأنهم ينتفعون أنفسهم وينفعون المجتمع ، ويشعرون بالغبطة والسعادة فى الحياة فينشرون هذا الشعور فى محيطهم . ومن الواجب أن نفهم أن الشعور بالسعادة غرض أصيل من أغراض الحياة ، بل من أغراض الأديان ، فكلما أمكننا تحقيقه فى أنفسنا أو فى سوانا بالوسائل الشريفة الراقية ، كان ذلك فضلا وكان عملا جليلا .

ومصر فى حاجة إلى جيل من الشباب الطموح ، بالمعنى الذى حددناه للطموح . جيل يشعر بأن للحياة أهدافا ، وأن الرقى والتطور من أغراض الطبيعة الإنسانية ، ثم يكون فى الوقت ذاته مرحا سعيدا كلما حقق خطوة من برنامجه المرسوم ، فالفرح غاية كتحقيق الأهداف سواء بسواء .